قبيلة القحرى ودورها السياسي في تهامة اليمن 1840. 1962م

الباحث / فيصل محمد محمد إسماعيل بغوي

تعد القبيلة نواة تكوين المجتمع وهي إحدى المراحل التي يمر بها المجتمع في إطار تكوينه، فقد كان للقبيلة العربية حضورها في كل المجالات، وتميز تاريخ اليمن منذ القدم ببنية قبلية ما زالت ماثلة للعيان، فقد شكلت كل قبيلة بوضعها الخاص حالة اجتماعية وسياسية وثقافية، وقد حظيت قبائل اليمن بدراسات خاصة في تاريخها الحديث والمعاصر، وخصوصاً في الجانب السياسي، إلا أن بعض القبائل وخصوصاً في تهامة لم تحظ بالدراسة على الرغم من الدور السياسي الذي قامت به، وتعد قبيلة القحرى إحدى أهم القبائل العربية التي ظهرت في تهامة ولعبت دوراً جلياً في مراحل تاريخية هامة من تاريخ تهامة الحديث والمعاصر.

انطلاقاً من تلك الأهمية جاءت هذه الدراسة بعنوان (قبيلة القحرى ودورها السياسي في تهامة اليمن 1840 ــ 1962) لإبراز الدور السياسي الذي لعبته قبيلة القحرى في تهامة اليمن وذلك من خلال موقعها الاستراتيجي الهام الذي يربط بين السهل والجبل، كما أن هذه الدراسة تعد أول دراسة في شأن هذه القبيلة، وأن كل ما ذكر عنها عبارة عن إشارات متفرقة في بعض الكتب.

أما الإطار الزمني لهذه الدراسة والذي يبدأ من 1840م وهي بداية مرحلة صراع داخلي في المنطقة بعد انسحاب قوات محمد علي باشا من تهامة وتسليمها للشريف الحسين بن علي بن حيدر، في حين ينتهي الإطار الزمني لهذه الدراسة بالعام 1962م وهو العام الذي قامت فيه الثورة وانتهى فيه حكم الأئمة وأعلن قيام الجمهورية العربية اليمنية.

كما هدفت هذه الدراسة إلى إبراز أهمية الموقع الجغرافي لقبيلة القحرى، والدور السياسي الذي لعبته هذه القبيلة خلال الإطار الزمني للدراسة مع القوى المحلية والدولية التي وصل نفوذها إلى تهامة اليمن.

وقد أراد الباحث أن يوضح الواقع السياسي لقبيلة القحرى وما الأسباب التي أدت بقبيلة القحرى إلى لعب ذلك الدور السياسي؟

وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى ثلاثة فصول، جاء الفصل الأول تحت عنوان(قبيلة القحرى الأرض والإنسان)، وتضمن أربعة مباحث، تحدث المبحث الأول عن الموقع وأهميته، في حين تناول المبحث الثاني أصل قبيلة القحرى، وتضمن المبحث الثالث أهم مراكز قبيلة القحرى، أما المبحث الرابع فتناول أهم فروع قبيلة القحرى، وحمل الفصل الثاني عنوان (البنية السياسية والاجتماعية لقبيلة القحرى)، وجاء في مبحثين الأول حول البنية السياسية وتضمن الخلفية السياسية لمشيخة قبيلة القحرى، وبنو حُميدة كأبرز مشايخ القحرى في الفترة الأولى من البحث، أما المبحث الثاني فتحدث عن البنية الاجتماعية للقبيلة، فعَرَف بالقبيلة

وفئات المجتمع القحري والعادات والتقاليد والمناسبات الدينية السنوية، أما الفصل الثالث والذي جاء بعنوان (الدور السياسي لقبيلة القحرى) خلال الفترة المحددة في عنوان الدراسة، وتضمن عدة مباحث، تحدث المبحث الأول عن الخلفية السياسية لقبيلة القحرى في التاريخ الإسلامي والدور الذي لعبته قبيلة القحرى، ثم جاء المبحث الثاني تحت عنوان القحرى والأشراف (1840 ـ 1849م)، وتم التمهيد بالحديث عن علاقة القحرى بالأشراف في المخلاف السليماني، خصوصاً عهد الشريف حمود، ثم عهد الشريف الحسين بن علي بن حيدر الذي تسلم الحكم في تهامة بعد رحيل قوات محمد علي باشا، والصراعات التي حدثت في عهده وما لعبته قبيلة القحرى من دور بارز في تلك الصراعات، الأمر الذي اضطره إلى استدعاء العثمانيين للعودة إلى اليمن فكانت بداية مرحلة جديدة حمل عنوانها المبحث الثالث والذي جاء بعنوان القحرى والعثمانيين (1849. 1918م)، تجلى فيها دورالقبيلة بين السلم والحرب حسب ما تقتضي ظروف الطرفين السياسية حتى انهيار الدولة العثمانية عقب الحرب العالمية الأولى وبالتالي دخلت تهامة بشكل خاص مرحلة جديدة من تاريخها المعاصر لعبت فيها قبيلة القحرى دوراً شبه مستقل، فكانت عنواناً للمبحث الرابع والذي سميَ علاقة قبيلة القحرى ببريطانيا (بعثة جاكوب "Jacob " أنموذجاً)، حيث أن بريطانيا بعد احتلالها للحديدة أرسلت بعثة جاكوب وتم أسرها من قبل قبيلة القحرى، وما ترتب عليها من نتائج ثم جلاء بريطانيا عن الحديدة ثم سيطرة الأدارسة عليها، لتبدأ معهم قبيلة القحرى فترة جديدة تضمنها المبحث الخامس والذي جاء بعنوان قبيلة القحرى والأدارسة (1921. 1925م)، هذه الفترة شهدت العديد من الأحداث خصوصاً بعد وفاة الإمام محمد بن علي الإدريسي وصراع الأدارسة حول السلطة ودور قبيلة القحرى في ذلك الصراع الأمر الذي انتهى باعتقال مشايخ القحرى ونفيهم مع العديد من القيادات الإدريسية مما شجع الإمام يحيى حميد الدين بتوجيه جيوشه إلى تهامة للسيطرة عليها لتبدأ تهامة عامة وقبيلة القحرى خاصة مرحلة جديدة تناولها المبحث السادس الذي حمل عنوان قبيلة القحرى والأئمة (1925. 1962م)، وفيها خضعت القحرى كغيرها من قبائل تهامة للأئمة حتى قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر 1962م وإعلان قيام الجمهورية العربية اليمنية .

وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها :

1- وجود العديد من المراكز الهامة التي أصبحت محطات تجارية على طول الطريق التجاري في نطاق نفوذ القحرى القبلي.

2- أهمية الموقع الجغرافي جعل بلاد القحرى هدفاً للعديد من القوى المحلية كالأشراف والأدارسة والأئمة، والأجنبية كالعثمانيين والبريطانيين.

3- وقفت قبيلة القحرى إلى جانب الشريف حمود بن محمد أثناء نزاعه مع إمام صنعاء المنصور علي ابن المهدي العباس، كما استطاعت التغلب على قبائل يام عند مهاجمتها لمدينة باجل مركز قبلة القحرى.

4- برز مشائخ القحرى من بني حميدة منذ مطلع القرن (الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي) كقوة لا يستطيع أحد تجاوزها، وكان أبرز مشائخ تهامة خلال تلك الفترة الشيخ علي حميدة وولده علي بن علي حميدة.

5- كان صراع قبيلة القحرى مع الشريف الحسين بن علي حيدر بن حيدر أهم الأسباب التي جعلته يطلب من الدولة العثمانية العودة للسيطرة على ما تحت يده من تهامة.

6- تأرجحت علاقة قبيلة القحرى بالعثمانيين خلال تواجدهم الثاني باليمن، حسب ما تقتضي ظروف الطرفين السياسية.

7- مثلت قبيلة القحرى مع قبيلة العبسية كابوساً على البريطانيين منذ احتلالهم الحديدة حتى جلاءهم عنها بفعل المقاومة المستمرة.

8- كان احتجاز قبيلة القحرى لبعثة جاكوب عملاً مستقلاً بدافع حب الاستقلال، والحرية التي ألفتها القبائل التهامية، وإبرازاً لموقفها الرافض للخضوع لأي سلطة محلية أوأجنبية.

9- كان مشائخ القحرى أبرز رجال العهد الإدريسي ولذلك تعرضوا أثناء الصراع الداخلي بين الأسرة الإدريسية لما تعرض له غيرهم من قيادة الدولة الإدريسية للاعتقال والنفي.

10- اتسمت علاقة قبيلة القحرى بالإمام يحيى منذ سيطرت جيوشه على تهامة بالمشبوهة، فقد وقفت إلى جانب القبائل التهامية التي انتفضت ضد النظام الإمامي واتضح ذلك من خلال مقتل مشائخ القحرى في معركة قضبة ضد الزرانيق.

11- بعد وفاة مشائخ القحرى الأساسيين (إسماعيل بغوي ويحيى علي مزرية) فقدت قبيلة القحرى روح المقاومة ضد النظام الإمامي، مما جعلها كغيرها من القبائل التهامية تخضع خضوعاً تاماً.

12- أصبحت باجل ـ مركز قبيلة القحرى ـ أبرز مراكز تهامة اليمن، فقد اتخذت منها كل القوى التي سيطرت على تهامة اليمن مركزاً رئيسياً سياسياً وعسكرياً.

وقد تمت مناقشة الباحث فيصل محمد محمد إسماعيل بغوي في يوم الأربعاء الثامن والعشرين ربيع الأول 1438هـ الموافق 28 / 12 / 2016م من قبل لجنة المناقشة والحكم المكونة من :

أ. د / أحمد أحمد صالح العرامي	مناقشاً خارجياً ورئيساً
أ .د / عبدالودود قاسم حسن مقشر	مشرفاً علمياً وعضواً
أ.م . د / علي مصلح هائل	مناقشاً داخلياً وعضواً

وبعد مناقشة مستفيضة من قبل اللجنة منح الباحث فيصل محمد محمد إسماعيل بغوي درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بتقدير ممتاز وبمعدل 94%.